.ثمرة دراسة علم أصول الفقه

وهذه النقطة ينبغي أن نركز عليها خاصة في هذا العصر، لأن كثيرًا من الطلاب لا سيما طلاب العلم المبتدئين يسأل نفسه ما الفائدة من دراسة هذا العلم؟وقبل أن تدرس أي علم من العلوم؛ بل هي قضية عقلية ليس في العلم فقط، قبل أن تدخل في أي مشروع، سواء كان مشروعًا علميًّا أو مشروعًا دعويًّا، أو مشروعًا تجاريًّا، أو أمر شخصي يتعلق بك؛ لابد أن تسأل نفسك هذا السؤال وأن تفكر فيه مليًّا: ما ثمرة الإقدام على هذا الفعل؟

هل هو نافع أو ضار وإذا كان نافعًا ما قدر نفعه وما حدود نفعه؟ وما هي المنافع التي سأجنيها من خلال الدخول في هذا المشروع أو هذا الموضوع؟

تطبيقًا لهذه القاعدة ولهذا المنهج: ما ثمرة دراسة علم أصول الفقه؟

الثمرة الأولى :أن أصول الفقه يبين المناهج والأسس والطرق التي يستنبط منها الحكم الشرعي.

الثمرة الثانية :أن أصول الفقه أو دراسة علم أصول الفقه يوصل إلى الاطمئنان إلى الأحكام المستنتجة أو الأحكام المستنبطة.

يعني مثلًا العالم إذا استنبط حكمًا من الكتاب بناه على قاعدة معينة؛ فإنه يطمئن إلى صحة استنباطه

هنا يقول: العارف بالأصول يعلم يقينًا أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

لدينا قضية مسلَّمة يا إخوان: أن الله –سبحانه وتعالى– حينما شرع هذه الشرائع، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ أمر الناس بامتثال هذه الشرائع، وألزمهم بها، وحاسبهم عليها، وجعل النبي –صلى الله عليه وسلم– خاتم الأنبياء، وشريعته ناسخة لجميع الشرائع، فلا نبي بعد محمد –صلى الله عليه وسلم– وليس هناك كتاب بعد القرآن الكريم.

أيضًا من الفوائد الأصولية: معرفة أسباب الخلاف بين العلماء.

بعض طلبة العلم لا سيما مَن كان منهم مبتدئًا لا يدر لماذا اختلف العلماء، حتى أن بعضهم يقول: ربما كان الاختلاف مقصودًا لذاته! فنقول له: لا، وحاشا العلماء أن يكون الاختلاف مقصودًا لديهم، وإنما الاختلاف نتج عن اختلافهم في القواعد الأصولية، بعضهم مثلًا يقدم العام على الخاص مطلقًا، وبعضهم يقدم الخاص على العام مطلقًا، وبعضهم يراعي التاريخ، مثلًا بعضهم يقدم المطلق، يقدم المقيد، أو يبني المطلق على المقيد، وبعضهم ما يفعل هذا، بعضهم مثلًا يحتجُّ بمفهموم المخالفة وبعضهم لا يحتجُّ به، بعضهم يعمل بالقياس في الكفارات والمقدرات وبعضهم لا يعمل به.

من المبادئ المهمة فيما يتعلق بعلم أصول الفقه: استمداد علم أصول الفقه.

بمعنى آخر: من أين جاء ها العلم؟

قال العلماء :إن علم أصول الفقه استُمدَّ من علوم ثلاثة:

العلم الأول: علم أصول الدين.

العلم الثاني: علم اللغة العربية.

العلم الثالث: علم الأحكام الشرعية.

علم أصول الدين :لدينا عدد من المسائل الأصولية مستمدة من علم أصول الفقه.

وإذا أردنا أن نبين كيف استمد أصول الفقه مادته من علم أصول الدين، فنقول: استمدها من جانبين:

الجانب الأول :أن أصول الفقه في غالبه بحث في الأدلة، والأدلة أساسها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبعض العلماء يرى أن القرآن

الكريم هو أساس الأدلة، وما عداه فهو راجع إليه ومبني عليه.

أما الجانب التفصيلي : فلدينا عدد من المسائل الأصولية هي مبنية على علم العقيدة.أو بمعنى آخر: هي مأخوذة من علم العقيدة.

فلدينا من المسائل الأصولية مثلًا: التحسين العقلي والتقبيح العقلي، عندنا عدد من المسائل الأصولية حكم فيها الأصوليون بناءً على هذه القاعدة –وهي قاعدة التحسين والتقبيح العقلي– وهذه القاعدة تكلم عنها العلماء بكلام طويل.

وبالمناسبة: يحسن بطالب العلم إذا أراد أن يقرأ في أصول الفقه أن يقرأ في العقيدة قبل ذلك، لأن كثير من المسائل الأصولية مبنية على المسائل العقدية، وإذا لم يطلع على قضايا السلف في هذه القضايا العقدية فربما اتجه اتجاهًا مجانبًا للصواب، ومخالفًا للأدلة الشرعية.

أما استمداد علم أصول الفقه من علم اللغة العربية: فهو واضح وجلي ولا يحتاج إلى جهد في إثباته، فلدينا عدد كبير جدًّا من المسائل الأصولية هي في أساسها وأصلها مسائل تتعلق باللغة العربية، فعندنا دلالات الألفاظ كلها أو غالبها مستمدة من علم اللغة العربية .